تتحسّر على بقاء محمد ﷺ في سجلات الأحياء، وتتحسّر على عدم التمكن من سبي فتيات المسلمين..؟ ربما كانت تعني أن هناك نية للعودة إلى أرض المعركة من جديد، ومحاولة أخرى للإجهاز على ما تبقى من المؤمنين وهم يدفنون شهداءهم، وربما كانت مجرد زفرات وأماني. لكن كل ذلك لم يكن خارج نطاق تفكير النبي ﷺ العسكري.. كان ﷺ يقرأ أفكار القوم، ويتصفح أحلامهم، لذلك قرّر أن يقوم بحركة عسكرية لتغطية أسوأ الاحتمالات.

تحدّثنا عن ذلك فتاة شاركت في المعركة.. عائشة رضي الله عنها تتحدّث إلى أحد أبناء أختها - أحد أبناء الزبير بن العوام وتخبره عن سبب نزول قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾..

فتقول: (يا ابن أختي، كان أبواك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أُحُد، وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا. قال ﷺ: من يذهب في إثرهم؟ فانتدب سبعون رجلاً - كان فيهم أبو بكر والزبير)[1].

وامتثل أبو بكر والزبير وامتثل معهم ثمان وستون فارساً.. نهضوا تحملهم جراحهم، وتحملهم تلك الأحاديث المعطرة عن أولئك الشهداء الذين سبقوهم قبل قليل.. نهض سبعون محارباً نحو باب من أبواب الجنّة مازال مشرعا في الأفق، لكن يبدو أنهم ظفروا ببعض المعلومات الخطيرة عن أبي سفيان وجيشه، وتوصّلوا إلى معرفة ما جرى من حوار دار بين المشركين حول التحسّر على عدم قتل محمد ﷺ وسبي المؤمنات، فعادوا ليخبروا النبي ﷺ حتى يتّخذ إجراءً مناسباً.. إنه الآن يأمر الجيش كلّه بالنهوض والتحرك نحو جيش الوثنين، وبسرعة. فكانت غزوة على هامش أُحد، وسميت فيما بعد بـ:

غزوة حمراء الأسد

فعندما (انصرف أبو سفيان والمشركون عن أُحد، وبلغوا الروحاء قالوا: لا محمداً قتلتم، ولا الكواعب أردفتم، شرّ ما صنعتم.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٧٧).

فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فندب الناس، فانتدبوا حتى بلغوا حمراء الأسد، أو بئر أبي عيينة، فأنزل الله: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[1] من بعد ما أصابهم ما أصابهم من فقد الأحباب والأصحاب، لكن قريشاً لاذت بالفرار خشية أن يصيبها ما أصابها في أوّل المعركة. أو يحدث لها ما حدث في غزوة بدر، فجيش محمد ﷺ كالأسود الجريحة.. الرماة يريدون التكفير عن معصيتهم لأوامر قائدهم ﷺ، وبقية الصحابة يريدون اللحاق بحمزة وعبد الله بن حرام وأصحابهم، لعل الله أن يخاطبهم هذا المساء، لكن قريشاً لاذت بالفرار، فمكث ﷺ وأصحابه رضي الله عنه بعض الوقت، ثم عادوا مثقلين إلى المدينة الحزينة.. المشتاقة إلى نبيّها وفرسانها.

سأستأذنكم قليلاً لأسبق رسول الله ﷺ وصحابته، لا إلى المدينة، بل سأعود إلى أرض أُحد، فقد خيّم اللّيل على جبالها وشعابها، وهناك حركة غريبة تحدث بين تلك الشعاب.. هناك شبح ينهض ثقيلا من بين الأموات.

شبح على أرض أُحُد

دعونا نقترب منه فهو يقف على قدميه.. يترنّح من الألم والبرد يزيد من آلامه.. ها هو.. إنه ليس من الجنّ.. إنه أحد أفراد جيش أبي سفيان، وقد كان طوال اليوم يتظاهر بالموت والدم ينزف منه.

يقول أنس بن مالك: (كان وهب بن عمير شهد أُحداً كافراً، فأصابته جراحة، فكان في القتلى، فمرّ به رجل من الأنصار، فعرفه فوضع سيفه في بطنه حتى خرج من ظهره، ثم تركه، فلما دخل الليل وأصابه البرد لحق بمكة، فبرأ، فاجتمع هو وصفوان بن أمية في الحجر، فقال وهب: لولا عيالي ودين عليّ لأحببت أن أكون أنا الذي أقتل محمداً؟ فقال له صفوان: كيف تصنع؟

فقال: أنا رجل جواد لا ألحق، آتيه فأغترّه، ثم أضربه بالسيف، فألحق بالخيل ولا يلحقني أحد.

---

(١) سنده صحيح وهو جزء من حديث الطبراني قبل السابق.

فقال له صفوان: فعيالك مع عيالي، ودينك علي)[1].

لن أكمل هذا الحوار.. سأترك الرجلين وما يكيدان لألحق بحبيبي ﷺ.. ها هو يسير نحو المدينة الحزينة.. دون حمزة.. دون مصعب.. دون سبعين من الشهداء الأبرار، والبيوت تضجّ بالحزن والنواح.. يدخل ﷺ المدينة، ويمشي بين جدرانها الحزينة وأبياتها المفجوعة، فيحاصره النواح والبكاء في كل الطرقات والدروب.

لم يتوقف النواح في المدينة، ولم تتوقف الدموع ولا الأحزان.. إنها تتقاطر من قلوب المؤمنين، كما يتقاطر سيف هذا المحارب المخيف، الذي يسلم لحبيبته سيفاً أحمر يتقاطر موتاً.. سيفاً حنته المعركة لكنها لم تَحْنِ حامله..

إنه عليّ بن أبي طالب، وهو الآن برفقة رسول الله ﷺ، ولا أعلم هل هما في بيت النبي ﷺ، أم في بيت فاطمة..؟

يبدو أنهما في بيت فاطمة رضي الله عنها، فقد (جاء علي رضي الله عنه بسيفه يوم أُحد قد انحنى، فقال لفاطمة رضي الله عنها: هاكي السيف حميداً، فإنها قد شفتني.

فقال رسول الله ﷺ: لئن كنت أجدت الضرب بسيفك لقد أجاده سهل بن حنيف، وأبو دجانة، وعاصم بن ثابت الأقلح، والحارث بن الصمة)[2].

---

(١) سنده قوي رواه الطبراني (٦٢/١٧) وابن منده - ذكره في الإصابة.. وسند الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير التستري، حدثنا محمد بن سهل بن عسكر، حدثنا عبد الرواق، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن أبي عمران الجوني - لا أعلمه إلا عن أنس بن مالك: ... وقد توبع ابن عسكر عند ابن منده تابعه أبو الأزهر.. وأبو الأزهر حسن الحديث إذا لم يخالف، ومحمد بن سهل ثقة، انظر التقريب ٤٨٢ وعبد الرزاق معروف، وجعفر بن سليمان صدوق من رجال مسلم - التقريب ١٤٠ وأبو عمران الجوني اسمه: عبد الملك بن حبيب الأزدي تابعي ثقة من رجال الشيخين، تقريب التهذيب ٣٦٢. وابن منده من شيوخ الطبراني.

(٢) سنده صحيح رواه الحاكم ٣-٢٤ واللفظ له والطبراني ٧-١٢٢ ١١-٢٥١ وسند الحاكم هو حدثنا محمد ابن عبد الله الصفار، حدثنا أبو الحسن علي بن محمد الثقفي حدثنا منجاب بن الحارث التميمي قال: وزعم سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس. سفيان وعمرو وعكرمة أئمة ثقات ومنجاب ثقة التقريب ٥٤٥ فقول الحاكم رحمه الله إن الحديث على شرط البخاري فيه نظر، بل العكس فمنجاب من رجال مسلم فقط فالحديث على شرط مسلم، وأبو الحسن ثقة انظر: تاريخ بغداد ١٢-٦٣ وشيخ الحاكم عالم ثقة قال عنه تلميذه الحاكم: أنه محدث عصره، سير أعلام النبلاء ١٥-٤٣٧ وقد توبع الثقفي عند الطبراني وفيه تصريح بسماع سفيان من عمرو.

obeikandl.com

توجّه ﷺ إلى بيته خلال النواح والبكاء.. إنه يستمع إلى النائحات والوجد يحرق أكبادهن، فيتذكر عمّه حمزة رضي الله عنه، فتعاوده الأحزان من جديد، فيستجيب لها بكلمات تفيض وجداً ووفاءً لذلك الفقيد الحميم، فقد (مرّ ﷺ بنساء عبد الأشهل)[1] عندما (رجع رسول الله ﷺ يوم أُحد، فسمع نساء بني الأشهل يبكين على هلكاهنّ، فقال: لكن حمزة لا بواكي له!

فجئن نساء الأنصار فبكين على حمزة عنده، ورقد ﷺ، فاستيقظ وهن يبكين، فقال: ويلهنّ، إنهن لهاهنا حتى الآن)[2] (ويحهن ما انقلبن بعد)[3] ولا انصرفن إلى بيوتهن حتى الآن..؟

إنها بعض عادات الجاهلية التي لازال التمسك بها مباحاً حتى الآن، لكنها عادة لا تعبّر عن الحزن العميق فقط.. إنها تتجاوز الحزن إلى شيء خطير جداً.. شيء جاء الإسلام ليمحوه من أعماق كل مؤمن ومؤمنة، وهذا الشيء هو الجزع من أقدار الله، والاحتجاج على قضائه، وهو ما قد يؤدي إلى هدم أحد أركان الإيمان الستّة التي جاء بها الإسلام.. أي الركن السادس، فأركان الإيمان هي:

١) الإيمان بالله.

٢) وملائكته.

٣) وكتبه.

٤) ورسله صلّى الله وسلم عليهم جميعاً.

٥) والإيمان باليوم الآخر والبعث والنشور.

٦) الإيمان بقضاء الله وقدره.

ولهذا نزل الأمر من الله بـ:

---

(١) سنده حسن رواه ابن ماجه ١-٥٠٧ والحاكم ٣-١٩٥. عن ابن وهب وعبيد الله ابن موسى أخبرنا أسامة ابن زيد عن نافع عن ابن عمر. أسامة حسن الحديث التقريب ٩٨ وصحح الحديث الإمام الألباني في صحيح ابن ماجه ١-٢٦٥ وبقية السند كالذهب.

(٢) هو الحديث السابق.

(٣) هو الحديث السابق.

obeikandl.com

تحريم النياحة على الميت

يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما: (رجع رسول الله ﷺ يوم أُحد فسمع نساء بني الأشهل يبكين على هلكاهن، فقال: لكن حمزة لا بواكي له.

فجئن نساء الأنصار فبكين على حمزة عنده، ورقد ﷺ فاستيقظ وهنّ يبكين، فقال: ويلهن إنهن لهاهنا حتى الآن؟! مروهن فليرجعن، ولا يبكين على هالك بعد اليوم)[1].

ولم يقف الأمر عند النهي الخفيف فقط، فبعد فترة من الزمن نزل الوحي يشدّد تحريم النياحة على الميت، وهو بذلك يتغلغل داخل أعماق المؤمنين والمؤمنات.. يتتبّع آثار الجاهلية، يمحوها ويغرس مزيداً من الإيمان مكانها.

يقول ﷺ: (أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها، تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب)[2]، وسربال القطران يعني ثوباً والقطران دهان يدهن به البعير الأجرب..

النياحة من أمر الجاهلية، وهي ليست -أبداً- مقياساً لمدى الشعور بالحزن وفقدان الحبيب.. إنها نوع من التطرّف والغلوّ في إظهار المشاعر، ولذلك نزل الوحي مرّة أخرى مذكراً، وواصفاً تلك الممارسات بشيء خطير جداً يؤثر على عقيدة المسلم، فقد قال ﷺ: (اثنتان في الناس هما بهم كفر: الطعن في النسب، والنياحة على الميت)[3] لأن في الأمرين احتجاج على الله.

توقف النواح، ولم تتوقف الدموع، وكذلك الحياة لم تتوقف، ففي المدينة كانت الرسالة هي الحياة، وعلى الأحياء أن يؤدّوها كما أدّاها أولئك الشهداء.

---

(١) سنده حسن ورواه ابن ماجه (الصحيح ٢٦٥/١) والحاكم (١٩٥/٣) ابن وهب وعبيد الله بن موسى أخبرنا أسامة بن زيد عن نافع عن ابن عمر وأسامة بن زيد حسن الحديث إذا لم يخالف (التقريب ٩٨) وصحح الحديث الإمام الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٥/١) وبقية السند كالذهب.

(٢) صحيح مسلم ٢- ٦٤٤.

(٣) حديث صحيح رواه مسلم ١-٨٢.

openkanal.com

وتمـــرّ الأيام ويتبقى لأُحدٍ وشـــهدائها ذكريـــات، وعطر يفوح في أجـــواء المدينة وأحاديث أهلها، وتمرّ الأيام فيولد لأحد الأنصار غلام، فيحتار في تسميته، فتتجه به الحيرة إلى أحب الناس إليه.. إلى رســـول الله ﷺ، فيبحر به ﷺ إلى أبهج الذكريات وأقساها.. يبحر به إلى

أحب الأسماء إلى رسول الله ﷺ

يقول جابر بن عبد الله: (ولد لرجل منّا غلام، فقالوا: ما نسمّيه؟ فقال النبي ﷺ: ســـمّوه بأحب الأســـماء إليّ (حمزة))[1]، فحمزة مازال عالقاً في الذاكرة.. متجذراً في القلب النبوي الكريم، لكن الله سبحانه ينزل على نبيه ﷺ فيما بعد أحب الأسماء إليه، فيقولها ﷺ لمن حوله: (إن أحب أسمائكم إلى الله: عبد الله وعبد الرحمن)[2].

ولما رزق أحد الأنصار بغلام.. ســـماه محمداً، فاحتجّ الأنصار على هذا الاســـم، وبخلوا به عليه إكراماً لرســـول الله ﷺ..؟ فكان جواب رسول الله ﷺ على ما حدث، ما نقله جابر بن عبد الله الأنصاري عندما قال: (ولد لرجل منّا غلام، فسماه محمداً، فقال له قومه: لا ندعك باسم رسول الله ﷺ.

فقال رسول الله ﷺ: تسمّوا باسمي، ولا تكتنوا بكنيتي)[3].

إذاً فاسم محمد اسم محبّب إلى رسول الله ﷺ، ومحبب إلى الله سبحانه، ولذلك قال ﷺ لرجل: (من الأنصار ولد له غلام، فأراد أن يسمّيه محمداً، فأتى به النبي ﷺ، فقال: أحسنت الأنصار.

سمّوا باسمي ولا تكتنوا بكنيتي)[4]، فما هي هذه الكنية التي نهاهم ﷺ عن التكنّي بها..؟

---

(١) سنده قوي رواه الحاكم ٣-٢١٦ حدثنا أبو علي الحسين بن علي الحافظ، أنا عبد الله بن صالح البخاري، حدثنا يعقوب بن حميد بن كاســـب، حدثنا ســـفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار، عن جابر. شيخ الحاكم واحـــد عصره في الحفظ والإتقان والورع والمذاكره، والتصنيف التذكرة - ٩٠٢) وشـــيخه ثقة ثبت انظر: المنتظم (١٤٥/٦) وســـفيان وعمرو بن دينار ثقتان ثبتان معروفان وعمرو ســـمع من جابر، فيتبقى يعقوب وهو حسن الحديث فهو كما لخص الحافظ أقوال العلماء: صدوق ربما وهم فحديثه حسن ٦٠٧.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم - الأدب (٢١٣٢).

(٣) حديث صحيح رواه مسلم كتاب الأدب (٢١٣٣).

(٤) حديث صحيح رواه مسلم - كتاب الأدب (٢١٣٣) .

جابـــر بن عبد الله أيضـــاً .. يحدّثنا أيضاً فيقول: (ولد لرجل منّا غلام، فســـمّاه القاســـم، فقلنا: لا نكنيك أبا القاســـم ولا ننعمك عيناً. فأتى النبي ﷺ فذكر له فقال: اسم ابنك عبد الرحمن)[1].

وعندمـــا (نادى رجلٌ رجلاً بالبقيع: يا أبا القاســـم، فالتفت إليه رســـول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني لم أعنك، إنما دعوت فلاناً.

فقال رسول الله ﷺ: تسمّوا باسمي ولا تكنوا بكنيتي)[2].

حدثنـــا جابر رضي الله عنه عن أشـــياء كثيرة حدثت بعد غـــزوة أُحد، فماذا عن جابر نفســـه..؟ ومـــاذا عن أخواته الصغيرات.. ماذا عن ديـــن والده الذي رحل وتركه أمانةً يثقل كاهله..؟

الدَّيْن لصاحبه همٌّ بالليل وذلّ في النهار، فإلى أي شيء تحولت أحوال جابر، الذي وجد نفســـه وحيداً.. مسؤولاً عن تسع بنات.. مسؤولاً عن دين ضخم لا يستطيع أداءه وهو شـــاب صغير لم يتعرض من قبل لمثل هذه المســـؤوليات..؟ إنه شاب صغير أعزب أفاق على أمانة كالجبال تحاصره.. فإلى أين يتجه و:

إلى أين تتجه الهموم بجابر

ليـــس هناك أرحب من رحمـــة الله لجابر، والنبي ﷺ مســـاحة من هذه الرحابة والرحمـــة فهو (رحمة مهداة)[3] من الله لهذه الأمة، ولكل فرد منها.. لم يكن بينه وبين أصحابه حواجز ولا حرس (كان ﷺ لا يدفع عنه الناس، ولا يضربوا عنه)[4].

جـــاءه رجل فشـــعر ذلك الرجل بخوف ورعدة من لقائـــه ﷺ، فقال له النبي ﷺ: (هون عليك، فإني لست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش تأكل القديد)[5].. القديد،

---

(١) حديث صحيح رواه مسلم - كتاب الأدب (٢١٣٣).

(٢) حديث صحيح رواه مسلم - كتاب الأدب (٢١٣١).

(٣) حديـــث صحيـــح صحيح الجامع. وقد رواه بســـند جيد كل مـــن الحاكـــم (٩١/١) الطبراني في الصغير (١٦٨/١).

(٤) حديث صحيح صحيح الجامع (٨٧٦/٢).

(٥) حديث صحيح صحيح الجامع (١١٨٥/٢).

ذلــك اللحم المملح المجفّف في الهواء والشــمس. إذاً فلا داعــي للخوف، ولا للرعدة والانتفــاض، وعلى عكــس هذا الرجل.. كان هناك من الناس من يملك جرأة أكثر مما هو مطلوب مع هذا النبي المتواضع عليه السّــلام، فقد (كان لرجل على النبي ﷺ سن مــن الإبل فجاء يتقاضاه)[1] (فأغلظ[2]، فهمَّ به أصحابه، فقال رســول الله ﷺ: دعوه فإن لصاحب الحق مقالاً. ثم قال ﷺ: أعطوه سناً مثل سنه)[3] (فطلبوا سِنَّهُ فلم يجدوا إلا سناً فوقها[4]، فقال: أعطوه.

فقال: أوفيتني أوفى الله بك. قال النبي ﷺ: إن خياركم أحسنكم قضاءً)[5] رضي الرجل وذهب مســروراً بما حصل عليه، وتعلّم الصحابة منه ﷺ حسن الوفاء، وحسن الأخــلاق، لكن جابــر بن عبد الله لا يملك ما يقضي به كل دينــه، فاتّجه إلى الرحمة المهــداة يســأله العون وتفريج هذا الكرب الشــديد، فكان ﷺ له فــي المكان المطلوب والزمان المناسب، و

على باب رسول الله ﷺ كان جابر يتعلم أدباً

يقول جابر رضي الله عنه: (إن أبي قتل يوم أُحُد وترك تســع بنات كنّ لي تســع أخــوات)[6] (وتــرك عليه ثلاثين وســقاً[7] لرجل من اليهود فاســتنظره جابر فأبى أن ينظره)[8].

لــم يكن هذا اليهودي الوحيد الذي له حق على جابــر، فوالده ترك عليه ديناً غير هــذا. حيــث يقول (إن أبي ترك عليه ديناً، وليس عندي إلاّ مــا يخرج نخلهُ، ولا يبلغ ما يُخرج سنين ما عليه)[9] من دين (فطلبت إلى أصحاب الدين أن يضعوا بعضاً؟ فأبَوْا)[10]

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٠٥) يعنى أن النبي استلف بعيراً.
(٢) تكلم مع النبي ﷺ بأسلوب غليظ.
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٠٦).
(٤) أي أكبر منها في السن وأغلى في الثمن.
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٠٥).
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٢).
(٧) الوسق يساوي ستين صاعاً.
(٨) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٩٦) أي لم يمهله ويؤجل سداده.
(٩) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٨٠).
(١٠) حديث صحيح رواه البخاري (٢٤٠٥).

ورفضوا التنازل عن أي شـــيء (فعرضت على غرمائه أن يأخذوا التمر بما عليه؟ فأبوا، ولـــم يروا أن فيه وفاءً، فأتيـــت النبي ﷺ)[1] (فدققت الباب، فقال: من ذا؟ فقلت: أنا. فقال ﷺ: أنا! أنا!، كأنّه كرهها)[2] لأن كلمة: (أنا) ليســـت إجابة، ولا تعريفاً بالطارق، بل هي اســـتدعاء لمزيد من الاستفسار والتساؤل، ولو قال جابر: (أنا جابر) لما كره ﷺ ذلك، ولكان أفضل.

تعلّم جابر أدباً رفيعاً من نبيه ﷺ، ثم بثّ للنبي ﷺ شكواه وديونه، وتعنّت الدائنين، فوجده رحيماً معيناً على النوائب والشدائد.

قال جابر للنبي ﷺ: (قد علمت أن والدي قد استشـــهد يوم أُحُد وترك ديناً كثيراً، وإنـــي أحب أن يراك الغرماء)[3] (فانطلق معي لكي لا يفحـــش عليّ الغرماء)[4] ثم يقول: (فاستشـــفعت به عليهم فأبوا)[5] و(اســـتعنت النبي ﷺ على غرمائه أن يضعوا من دينه، فطلب النبي ﷺ إليهم فلم يفعلوا)[6] (فاشتد الغرماء في حقوقهم، فأتيت رسول الله ﷺ فكلّمته فســـألهم أن يقبلوا ثمر حائطي ويحللوا أبي..؟ فأبوا. فلم يعطهم رسول الله ﷺ، ولم يكسره لهم، ولكن قال: سأغدو عليك إن شاء الله تعالى.

فغدا علينا حين أصبح، فطاف في النخل، فدعا في ثمره بالبركة فجددته)[7] فقال ﷺ: (إذا جددتـــه فوضعته في المربد)[8] (فبيدر كل تمر علـــى ناحية)[9] (فصنّف تمرك أصنافاً: العجوة على حدة، وعذق ابن زيد على حدة، ثم أرسل إليّ. ففعلت، ثم أرسلت إلى النبي ﷺ فجاء)[10]، و

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٠٩).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٦٢٥٠).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٥٣).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٨٠).
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٢٤٠٥).
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٢١٢٧).
(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٢٦٠١).
(٨) حديث صحيح رواه البخاري (٢١٢٧) والمربد هو مكان يجفف فيه الثمر.
(٩) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٨١).
(١٠) حديث صحيح رواه البخاري (٢١٢٧).

جاءت المعجزة

(ثم قال: ادع غرماءك)[1] (فلما نظروا إليه أغروا بي[2] تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون طاف حول أعظمها بيدراً ثلاث مرات، ثم جلس عليه)[3] (ثم دعا)[4] (ثم قال: ادع أصحابك.

فمـــا زال يكيل لهم حتى أدّى الله أمانة والدي، وأنا والله راض أن يؤدي الله أمانة والدي ولا أرجع إلى أخوتي تمرة، فســلّم والله البيادر كلّها، حتى أني أنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ كأنه لم ينقص تمرة واحدة)[5] (فأوفاهم الذي لهم، وبقي مثل ما أعطاهم)[6] (فما تركت أحداً له على أبي دين إلاّ قضيته، وفضّل ثلاثة عشر وسقاً، وســبعةً عجوة وســتةً لون، أو ستةٌ عجوةً وســبعةٌ لون، فوافيت رسول الله ﷺ المغرب فذكــرت له ذلك، فضحك، فقال: ائت أبــا بكر وعمر فأخبرهما. فقالا: لقد علمنا إذ صنع رســول الله ﷺ ما صنع أن سيكون ذلك)[7] (ثم جئت رسول الله ﷺ وهو جالس فأخبرته بذلك، فقال رســول الله ﷺ لعمر: اسمع -وهو جالس- يا عمر: فقال عمر: ألا يكون قد علمنا أنه رسول الله، والله إنك لرسول الله)[8].

وانصرف جابر إلى أخواته مبشّــراً بكرامة اللــه لوالدهن في حياته وبعد مماته، فقضاء الدين بهذه الطريقة لا يمكن إلاّ أن يكون إكراماً من الله لذاك الشيخ الراحل.. ذلك الشيخ الذي عانى الكثير.. الكثير من أجل لقاء الله، وهو إكرام لهذا الشاب الذي رضي بقضاء الله وقدره، وحمل وهو صغير أمانة ضخمة وثقيلة، وهل هناك أثقل من إعالة أسرة كبيرة كهذه! وهل هناك أثقل من دين يطالبك به يهودي..؟!

أجل هناك، وفي بيت ســعد بن الربيع الشهيد الكريم، الذي ناصف عبد الرحمن ابــن عوف ماله وأهله.. في بيت هذا الربيــع الممتد كالبصر حلّ الجفاف والفقر، لقد

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٠٩).
(٢) هيجوا بي.. أي أثاروا.
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٨١).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٨٠).
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٨١).
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٨٠).
(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٢٧٠٩).
(٨) حديث صحيح رواه البخاري (٢٦٠١).

ذهب مال سعد بن الربيع وثروته مع الريح والجشع.. سعد بن الربيع رضي الله عنه لم يترك سوى زوجته وابنتيه وثروته، ولا أدري هل طلّق زوجته الثانية أم توفّيت..؟ لكن الذي أعرفه أن ماله قد ذهب، فـ:

من أخذ مال سعد بن الربيع؟

ها هي أم الفتاتين.. زوجة سعد بن الربيع، وبعد مرور أيام وشهور تخرج حزينة على زوجها وبناتها.. تتجه نحو النبي ﷺ تسأله حلاً.. تسأل الله فرجاً، فلا سعد ولا بناته يستحقون كل هذه المعاناة. تقف تلك الحزينة أمام الرحمة المهداة.. (جاءت امرأة سعد بن الربيع بابنتيها من سعد إلى رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، هاتان ابنتا سعد قتل أبوهما يوم أُحد «معك» شهيداً وإن عمّهما أخذ مالهما، فاستفاءه[1]، فلم يعد لهما مالاً، والله لا تنكحان إلاّ ولهما مال[2].

فقال رسول الله ﷺ: يقضي الله في ذلك.

فأنزل الله عليه آية الميراث)[3]، وهي ضمن قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَٰحِدَةً فَلَهَا ٱلنِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴾[4].

---

(١) أخذه غنيمة له مثل المال الذي يؤخذ دون حرب ولا جهد.

(٢) أي انه لن يرغب أحد فيهما وهما معدمتان.

(٣) حديث حسن انظر: ما بعده فهو جزء منه.

(٤) سورة النساء: الآيات ٩ - ١١.

(فأرسل رسول الله ﷺ إلى عمّهما، فقال: أعطِ ابنتي سعد الثلثين، وأمّهما الثمن، وما بقي فهو لك)[1].

إنها قسمة الله، لا قسمة الجاهلية والعادات والتقاليد.. آية تغسل قلب سامعها من الجشع.. تغسله بأنهار العطف والرأفة.. تجعله في مكان المفجوع بنفسه.. تجعله يشعر بمرارة اليتم.. بليل اليتم يخيّم على أبنائه، فإذا لم يكن صاحب قلب رقيق ومرهف، فالآية التي بعدها تصدع قلبه المتحجر، وتملأ بطنه الجشع بالجمر والنار، وتقذف به في الجحيم والسعير الذي لا ينطفئ، أما الآية الثالثة، فرحمة الله بالأولاد أكثر من رحمة آبائهم بهم. إن الله يوصي الآباء بأبنائهم، والموصي أرحم من الموصى.

وقد جعل الله نصيب الذكر أكثر من نصيب الأنثى في الميراث مرتين، لأن على الذكر مسؤوليات تجاه الأنثى عديدة، فالرجل يجب عليه الإنفاق على أمه وأخته وزوجته وابنته، وهو الذي يدفع المهر لزوجته، بل يجب عليه أن يكسو زوجته، وأن يقدم لها الطعام جاهزاً للأكل، كما قال ﷺ: (حق المرأة على الزوج أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى)[2] إنها فريضة من الله، وهو الذي خلق هذا الإنسان، وهو أعلم به وأحكم، وأدرى بما يجعل حياته سعيدة مشرقةً دائماً.

وقد بيَّن ﷺ أن الفتاتين لهما حكم ما فوق الاثنتين عندما خاطب شقيق سعد بن الربيع. أخبرنا بذلك جابر بن عبد الله الذي تراكمت عليه المسؤوليات، وربما كانت هي سبب مرضه الآن.. إنه يعاني من وعكةٍ ألزمته الفراش بين أخواته يمرضنه، ويخشين أن يغادرهن كما غادر والدهن.. لقد اشتدّ به المرض فلم يعد يعقل شيئاً، وانتقل خبر مرضه إلى رسول الله ﷺ، فاتجه هو وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه إلى حي بني سلمة لزيارة جابر ذلك الشاب الصغير الذي احتفى به عليه السلام كثيراً.

---

(١) سنده حسن رواه ابن سعد ٣-٥٢٤ واللفظ له عدا «معك» وأحمد ٣-٣٥٢ من طرق عن عبد الله بن محمد بن عقيل وهو تابعي حسن الحديث عن جابر. والراوي عن ابن عقيل هو عبيد الله بن عمرو الرقي: ثقة. التقريب ٣٧٣.

(٢) حديث صحيح -صحيح الجامع (٦٠٢/١).

يقــول رضي الله عنه: (مرضت فجاءني رســول اللــه ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيان)[1] (في بني سلمة)[2] (فأتاني وقد أغمي علي)[3] (فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعــا بماء، فتوضأ منه ثم رشّ علي، فأفقت. فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟)[4] (يا رسول الله إنما لي أخوات)[5] (يا رسول الله لا يرثني إلاّ كلالة فكيف الميراث)[6] (كيف أقضي في مالي، كيف أصنع في مالي؟ فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراث)[7]، وهي الآية التي بعد الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾[8].

فهو أعلم بخلقه، وأدرى بما يجعلهم سعداء في الدنيا والآخرة.. إنه يكرمهم بآيات الميراث، ويحفظ حقوق الأيتام والورثة، وفي ذلك تكريم للكريم سعد بن الربيع، وتكريم لعبد الله بن حرام.

وتمــرّ أيام فينهض جابر من مرضه الذي ألمّ به، ولئن كان المرض قد غادر جابر، فإن هناك من تغلغل المرض في جســده ولم يغادره حتى الآن.. في المدينة رجل هاجر إلــى النبي ﷺ وحيداً بعد أن أرغم علــى مفارقة زوجته وهو في الطريق، فقد أرغمه

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٧٣٠٩).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٧٧).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٧٣٠٩).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤٥٧٧).
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (٦٧٤٣).
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٥٦٧٦).
(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٧٣٠٩).
(٨) سورة النساء: الآية ١٢.

أهلهـــا على تركهـــا والرحيل دونها ودون ابنها.. إنه الصحابي الجليل أبو ســـلمة الذي يهاجمه المرض بضراوة الآن، وتنقض على جســـده جراحات أُحُد، وحوله أبنه وزوجته المجاهـــدة الصابرة، ذات الهجرة العســـيرة والذكريات المريـــرة.. إنها تبكي الآن، وهي تعانـــي وداع زوجهـــا الحبيب.. إنه لن يرى هذا الجنين الذي يســـكن أحشـــاءها.. لن يداعبه، ولن يتمتع بطفولته.

مات أبو سلمة رضي الله عنه، فبكت أم سلمة وبكى أحبابه، لكن مرارة الحزن لم تنس هذه المؤمنة الصابرة نفسها.. لقد صبرت في السابق، وها هي الآن تتحامل على جراحها.. تنهض من بين آلامها.. تتوجه نحو النبي ﷺ تســـأله ماذا تقول في مصابها الأليم هذا.. تسأله حتى لا تقع في ذنب النواح والاعتراض على قضاء الله وقدره.

تقول رضي الله عنها: (ســـمعت رســـول الله ﷺ يقول: إذا حضرتم الميت فقولوا خيراً، فإن الملائكة يؤمّنون على ما تقولون. فلما مات أبو ســـلمة قلت: يا رســـول الله، كيف أقول؟

قال ﷺ: قولي: اللّهمّ اغفر لنا وله، وأعقبني منه عقبى حسنة)[1].

فدعت أم سلمة بتلك الدعوة، وارتفعت دعوتها إلى الباري فاستجاب لها. فـ

ما هي عقبى أم سلمة

ســـنعرف ذلك لاحقاً، أما الآن فســـنترك «هند» أم ســـلمة وأحزانها ودعاءها إلى أحـــزان أخرى.. أحزان تراكمـــت على صدر صحابي كريم، وملأت بيته حتى ضاق به.. عثمان بن عفان الذي فقد حبيبته رقية بعد غزوة بدر، وفقد قوته في غزوة أحد، فهرب من المعركة بعد هزيمة المسلمين ونزول الرماة من الجبال.. عثمان يعيش حالة من الحزن والأســـف لا يحسد عليها. لا أدري ما مبرّرات هروبه من المعركة، وهو الذي شارك في صناعة الانتصار وإلحاق الهزيمة بالمشـــركين في أوّل النهار؟ مهما كانت المبرّرات، لقد حدث ما حدث لهذا الصحابي العظيم، وهو بشر غير معصوم، والله أرحم من أن يدعه للأحزان تفتك به وتغتاله. لقد ضاقت به الدنيا ففرجها الله مرتين:

---

(١) صحيح مسلم ٢-٦٣٣.

أما الأولى فقد أنزل الله فيه قرآناً يتلى إلى يوم القيامة.. أنزل الله عفوه ورحمته به، فقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[1].

وفي ذلك يقول عبد الله بن عمر بن الخطاب عن عثمان: (أما فراره يوم أحد، فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له)[2]..

فرح عثمان بهذه الآية، وانزاح همّه الثقيل.

وأما الثانية: فقد أقبل عليه النبي ﷺ يبشره بهذه الآيات، ويبشّره بعودة الصهر بينهما، فقد وافق ﷺ على تزويجه من ابنته أم كلثوم، فأي سعادة يعيشها عثمان الآن؟ لقد عرف الناس بعد هذا من هو عثمان، وما منزلته عند الله وعند رسوله، فلقبوه بلقب يشع من بيت النبوة.. لقبوه بـ: (ذي النورين) وهو أسعد الناس بعرسه ونسبه وحبّ الله ورسوله، وأم كلثوم تشاطره كل ذلك وتتعطّر به، أما أختها فاطمة فسعيدة بأختها أم كلثوم، وسعيدة بهدية جميلة تقدمها لأبيها ولزوجها عليّ رضي الله عنهم جميعاً.

وبينما كان الجميع يترقّبون الهدية بفرح.. كانت هناك امرأة مهمومة.. يتملكها الفزع مما قد يحدث للنبي ﷺ أو لفاطمة.

الرؤيا من جديد تخيم كالخوف على عالم امرأة صالحة تدعى (أم الفضل) وهي زوجة عم النبي ﷺ العباس بن عبد المطلب، التي تركت مكة والعباس إلى الله ورسوله ﷺ، فما هي:

رؤيا أم الفضل

تقول رضي الله عنها: (رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله ﷺ، فجزعت من ذلك، فأتيت رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له؟

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٥.

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٦٩٨).

فقال ﷺ: خيراً، تلد فاطمة غلاماً، فتكفلينه بلبن ابنك قثم.

فولدت)[1] فاطمة.. ولدت حباً جديداً للنبي ﷺ ملك عليه قلبه.

فاطمة تلد حرباً

سماه والده: (حرباً).. إنه يملأ بيت النبوة برائحة الأحفاد االبريئة المنعشة.. (حرب) يزاحم أمه وأباه في قلب جده ﷺ، وقد بُشّر بمولد هذا الطفل الجميل، فجاء ﷺ والسعادة تملأ صدره، فوجد الابتسام والفرح يغمران المكان، عليٌّ سعيدٌ، وفاطمة أكثر سعادة.

يقول عليّ رضي الله عنه: (لما ولد الحسن سميته حرباً، فجاء رسول الله ﷺ فقال: أروني ابني، ما سميتموه؟ قلت: حرباً.

قال ﷺ: بل هو حسن)[2].

غيّر ﷺ ذلك الاسم الحاد باسم جميل.. يدخل البهجة على النفوس، فحمل المولود الطاهر اسمه الجميل، وحمله ﷺ بين يديه وقبّله، وفعل شيئاً رآه أحد موالي النبي ﷺ الذي كان يشارك بيت النبي ﷺ فرحتهم بهذا القادم الحسن، فسألناه: أخبرنا يا أبا رافع.. ماذا رأيت..؟

أبو رافع رضي الله عنه يصف ذلك المشهد المفرح الذي لم يدخل السرور على بيت النبي ﷺ فقط، بل امتدت بهجته وبركته إلى أحوج الناس إلى البهجة، فيقول: (لما ولدت فاطمة حسناً قالت: ألا أعقّ عن ابني بدم «بكبشين»؟.

---

(١) سنده حسن رواه أحمد (٦/٣٣٩) واللفظ له، والطبراني (٣/٥-٩) وروى آخره من الطريق نفسها ابن خزيمة (١/١٤٣) وحسنه أستاذنا الشيخ محمد مصطفى الأعظمي حفظه الله، ووافقه الإمام الألباني فلم يعلق عليه، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (١/٨٥) وصحيح أبي داود (١/٧٥).. وسند أحمد هو: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا إسرائيل عن سماك عن قابوس بن المخارق عن أم الفضل. وقابوس تابعي لا بأس به - التقريب (٤٤٩) ولا يضره أن يكون قد جاء - عند الطبراني أنه رواه عن أبيه عن أم الفضل فأبوه صحابي. وسماك بن حرب تابعي صدوق وروايته هذه ليست عن عكرمة - التقريب (٢٥٥) وإسرائيل ثقة معروف مر معنا كثيراً - التقريب (١٠٤) وقد توبع.. وتلميذه ثقة من رجال البخاري ومسلم (السابق -٥٩٢).

(٢) سنده قوي رواه أحمد ١-٩٨ و١١٨ واللفظ له والبخاري في الأدب (٢٨٦) وغيرهم من طرق عن أبي إسحاق السبيعي عن هاني بن هاني عن علي. أبو هاني تابعي وثقه االعجلي والنسائي. التهذيب ١١-٢٢ وله شاهد عند الطبراني بسند منقطع.

قال ﷺ: لا، ولكن احلقي رأسه وتصدّقي بوزن شعره من فضّة على المساكين والأوفاض (وكان الأوفاض ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ محتاجين في المسجد أو الصفة) ففعلت ذلك)[1] وتصدّقت على الفقراء والمحتاجين، لكن ماذا عن:

عقيقة الحسن

ماذا عنها والنبي ﷺ يقول: (كل غلام رهينة بعقيقته، يذبح عنه يوم سابعه، ويحلق رأسه، ويسمى)[2]..؟

لقد أحب ﷺ أن يقدم بنفسه عقيقة الحسن، حيث يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم: (إن رسول الله ﷺ عقّ عن الحسن)[3] (كبشين)[4]، ووقت العقيقة الأفضل هو قوله ﷺ: (العقيقة تذبح لسبع، أو لأربع عشرة، أو لإحدى وعشرين)[5].

وفي يوم جميل بالحَسَن أكل الفقراء وأهل الصفة من العقيقة، وشاركوا النبي وأهل بيته الاحتفاء بالحسن، أما هذا الطفل الحسن رضي الله عنه فقد أرضعته أمّه فاطمة، ثم بعث به ﷺ إلى تلك المرأة الصالحة، التي رأت في منامها بشرى ولادة الحسن.. بعث ﷺ بالحسن إلى أم الفضل، وها هي تحدّثنا عن رضاعته، وعن ضربه وعن حبه.

أم الفضل تضرب الحسن

تقول رضي الله عنها: (رأيت كأن في بيتي عضواً من أعضاء رسول الله ﷺ، فجزعت من ذلك فأتيت رسول الله ﷺ، فذكرت له ذلك. فقال ﷺ: خيراً، تلد فاطمة غلاماً، فتكفلينه بلبن ابنك قثم.

---

(١) سنده حسن رواه الطبراني ٣-٣٠ وابن الجعد ٣٣٤ وأحمد ٦-٣٩٠ من طريق شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن علي بن الحسين عن أبي رافع. وروى أحمد متابعة أبي النضر لشريك، وهو حسن من أجل ابن عقيل. التقريب ٣٢١.

(٢) صحيح الجامع (٢-٨٣٥).

(٣) حديث صحيح رواه أبو داود ١-٢٨ عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس، وهذا سند صحيح والنسائي ٧-١٦٤ عن حسين بن واقد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه والحاكم ٤-٢٦٥ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، وأبو يعلى ٥-٣٢٣ عن أبي الزبير عن جابر وعن جرير عن قتادة عن أنس ٣-٤٤١ وغيرهم.

(٤) حديث صحيح عند الحاكم وأبي يعلى كما مر في التخريج السابق.

(٥) صحيح الجامع (٢/٧٥٩).

قالت رضي الله عنها: فولدت حسناً فأعطيته، فأرضعته حتى تحرك أو فطمته، ثم جئت به إلى الرسول ﷺ، فأجلسته في حجره فبال، فضربت بين كتفيه. فقال ﷺ: ارفقي بابني رحمك الله (أو أصلحك الله) أوجعت ابني. قلت: يا رسول الله اخلع إزارك والبس ثوباً غيره حتى أغسله.

قال ﷺ: إنما يغسل بول الجارية، وينضح بول الغلام)[1] أي يرشّ بول الصبي إلاّ إذا صار يأكل الطعام، فعند ذلك يغسل بوله، والحسن ما زال رضيعاً.. ينعم بقلب جده ﷺ وقبلاته وأحضانه.

يقول أحد الصحابة رضي الله عنه: (رأيت رسول الله ﷺ يمصّ لسانه أو شفته (يعني الحسن بن علي صلوات لله عليه) وإنه لن يعذب لسان أو شفتان مصّهما رسول الله ﷺ)[2].

ذلك الطفل البريء.. ذلك البرد الطهور.. الحسن بن علي رضي الله عنه يملأ قلب النبي ﷺ ويملكه، وتمرّ الأيام فيكبر، ويزداد شبهه بالنبي ﷺ، فيقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (لم يكن أحد أشبه بالنبي ﷺ من الحسن بن علي)[3].

يكبر الحسن ويكبر حبّه بين حناياه ﷺ، فيقول البراء رضي الله عنه: (رأيت النبي ﷺ والحسن بن علي على عاتقه يقول: اللّهمّ إني أحبه فأحبه)[4]، ويبدأ الحسن يلثغ بالكلمات.. يتعثّر في نطقها.. يقلّبها.. يعبث لسانه الصغير بأحرفها، فيزداد حسناً وبهاءً، ويبدأ الخطو واللعب، ويخرج إلى الطريق ليلعب مع الأطفال، فيراه والده وأبو بكر رضي الله عنهما وهما يمشيان، فيسرع إليه أبو بكر ويأخذه من فوق الأرض ليجعله فوق عنقه، ويدلي قدميه الناعمتين على كتفيه، ويفديه بأبيه ويردّد كلمات تضحك والده علياً.

---

(١) سنده حسن وهو حديث أم الفضل السابق. وقد ثبت علميا أن هناك فرقا بين بول الغلام والبنت الرضيعين، راجع لمعرفة ذلك موقع (موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة)

(٢) سنده صحيح رواه أحمد ٤-٩٣ حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا حريز عن عبد الرحمن ابن أبي عوف الجرشي عن معاوية: هاشم ثقة ثبت، التقريب ٥٧٠ وحريز أوثق منه التهذيب ٢-٢٣٧ وعبد الرحمن تابعي كبير ثقة، التقريب ٣٤٨. ولك أن تتصور مدى الأمانة العلمية لدى رجال هذا السند رغم سلوكيات بعضهم تجاه علي رضي الله عنه. فمعاوية حاربه، وحريز ناصبي ومع ذلك يأبى عليهم إيمانهم وصدقهم أن يخفوا مثل هذا الخبر، وهي شهادة لعلم الجرح والتعديل ونقاده رحمهم الله، ومدى دقتهم في ذلك.

(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٣٧٥٢).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٣٧٤٩).

يقــول أحد الصحابة الذين شــاهدوا حب أبي بكر للحســن: (صلّــى بنا أبو بكر العصر، ثم قام وعلي يمشيان، فرأى الحسن يلعب مع الغلمان، فأخذه أبو بكر، فحمله على عنقه، وقال:

بــأبــي شــبــيــه الــنــبــي لــيــس شــبــيــهــاً بــعــلــي

وعليّ يبتسم)[1] (ويضحك)[2].

ولا يــلام أبو بكر الصديق رضي الله عنه في ذلك.. إنه ابن حبيبه وصاحبه ونبيّه، وحبّه من الإيمان، وأبو بكر متضلع بالإيمان وحب آل بيته وحب هذا الطفل الجميل. أبو بكر يفعل ما كان ﷺ يفعله بالحسن، حين يقول البراء بن عازب: (رأيت النبي ﷺ واضعاً الحســن على عاتقــه «وهو يقول: اللهم إني أحبه فأحبه»، وقــال: من أحبني فليحبه)[3] لم يكن الحســن فوق عاتق النبي ﷺ فقط.. كان يتمشــى في قلبه ويتجول في غرفاته وممراته.. كان يحتل قلبه وجســده ومشــاعره.. ها هو رجل من الأزد يبلغ الدنيا وصية نبيّه ﷺ وهو يحتضن الحســن داخل حبوته، فيقول: (أشــهد لقد رأيت رسول الله ﷺ واضعه في حبوته وهو يقول: من أحبّني فليحبه، وليبلغ الشاهد الغائب)[4].

ولــم يكتف هذا الطفل البــريء باقتحام قلبه ﷺ، بل تجاوزت براءته كل الحدود، فصار يقتحم على جده ﷺ صلاته.

ها هو الحســن يدخل على جدّه وهو يصلّــي بأبي بكر وعمر وعثمان ووالده علي وبقية الصحابة رضي الله عنهم.. يركض الحســن.. يلهو داخل المســجد، ويتّجه نحو جده ﷺ، فيقفز على ظهره الشــريف، ويمتطيه كفارس مغوار.. فماذا فعل ﷺ ؟ وما موقف والده وبقية الصحابة من فرح ذلك الطفل واقتحامه عالم النبي ﷺ وهو خاشع مع ربه..؟

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣/٢٤٩) بسند البخاري وهو عند البخاري (٣٥٤٢).

(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٣٥٤٢).

(٣) سنده صحيح رواه أبو الطياسي ٧٣٢ واللفظ له والترمذي ٣٧٨٣ والزيادة له عن شعبة عن عدي بن ثابت سمعت البراء.. وعدي ثقة من رجال الشيخين، التقريب ٣٨٨.

(٤) ســنده صحيح رواه البخاري خلق أفعال العباد (٩١) والحاكم ٣-١٩٠ وأحمد ٥-٦٦ من طريق شــعبة عن عمرو بن مرة ســمعت عبد الله بن الحارث يحدث عن زهيــر ابن الأقمر عن الرجل الأزدي. زهير تابعي ثقــة وليــس كما قال الحافظ: مقبول ٦٦٨ وتلميذه ثقة التهذيــب ٥-١٨٢ وعمرو بن مرة أوثق من الاثنين ويشهد للحديث ما قبله.

يقول أحد الصحابة رضي الله عنهم: (إن رسول الله ﷺ كان يصلّي، فإذا سجد وثب الحسن على ظهره وعلى عنقه، فيرفع رسول الله ﷺ رفعاً رفيقاً لئلا يصرع (فعل ذلك غير مرة) فلما قضّى صلاته، قالوا: يا رسول الله رأيناك صنعت بالحسن شيئاً ما رأيناك صنعته. قال ﷺ: إنه ريحانتي من الدنيا)[1].

نبي لا يقاوم عطر الطفولة المنعش.. وبراءتها التي تهزم القلوب.. طفولة منحها الإسلام مساحة من الحب والرحمة والتسامح.. مساحة فسيحة.. فسيحة تمتّع بها الحسن، ونعم فيها بطفولته وعفويّته، وتمتع بها أطفال المسلمين من بعده و..

تتمادى البراءة فيتمادى الحب

وتتّسع الرحمة، فرسول الله ﷺ هذه المرة لا يذهب إلى المسجد وحده، بل يحمل حفيده وريحانته الفواحة معه، وهو يعلم ما قد يفعل الطفل أثناء الصلاة.. أحد الذين رأوا ورووا تلك القصة المفعمة بالطفولة والعبادة يتحدّث إلينا.

صحابي اسمه شداد يقول: (خرج علينا رسول الله ﷺ في إحدى صلاتي العشاء وهو حامل حسناً[2]، فتقدم رسول الله ﷺ فوضعه، ثم كبّر للصلاة، فسجد بين ظهراني صلاته سجدةً أطالها، فرفعت رأسي، وإذا بالصبي على ظهر رسول الله ﷺ وهو ساجد، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله ﷺ الصلاة، قال الناس: يا رسول الله إنك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدةً أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك..؟!

قال ﷺ: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته)[3].

---

(١) سنده صحيح رواه أحمد ٥-٥١ وابن حبان ١٥-٤١٨ والطبراني ٣-٣٤ من طريق مبارك بن فضالة عن الحسن أخبرني أبو بكرة. وفي هذا السند مدلسان الحسن ومبارك رحمهما الله، أما الأول فصرح بالسماع من شيخه، وأما مبارك فقد توبع عند الطبراني ٣-٣٤ تابعه إسماعيل بن مسلم، فإن كان العبدي فهو ثقة، وإن كان المكي فهو ضعيف.

(٢) أو حسيناً كما جاء في النص وفعلت ذلك من أجل السياق.

(٣) حديث صحيح رواه أحمد ٣-٤٩٣ والنسائي صحيح الألباني - ١-٢٤٦.

obeikandl.com

إنها رحمة يشعر بها ﷺ ويحرض أصحابه على الشعور بها.. تقول عائشة رضي الله عنها: (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ، فقال: تقبّلون الصبيان؟ فما نقبلهم.!

فقال النبي ﷺ: أَوَ أملك لك أن نزع الله من قلبك الرحمة)[1].

و(قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالساً، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبّلت منهم أحداً، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: من لا يرحم لا يُرحم)[2].

ورسول الله ﷺ يقول عن نفسه: (إنما أنا رحمة مُهداة)[3]، فهل هناك ألذ من الرحمة وأجمل من الهدية.. لقد كان بين أضلاعه قلب كالنسيم البارد خلال القيظ والهجير.. كان سلوكه مطراً لذيذاً على شفتي صحراء تتلمظ عطشاً.

ذات يوم وبينما كان ﷺ يخطب أصحابه على منبره، إذ به يذهل عن خطبته وعن الناس من حوله، بل وعن نفسه.

الرحمة تذهله ﷺ

عبد الله بن عمر بن الخطاب رأى وسمع ما حدث، وأدهشته تلك الرحمة فقال رضي الله عنه: (رأيت رسول الله ﷺ على المنبر يخطب الناس، فخرج الحسن بن علي رضي الله عنه في عنقه خرقة يجرّها، فعثر فيها، فسقط على وجهه فنزل رسول الله ﷺ عن المنبر يريده، فلما رآه الناس أخذوا الصبي فأتوه به، فحمله فقال: قاتل الله الشيطان، إن الولد فتنة، والله ما علمت أني نزلت عن المنبر حتى أوتيت به)[4].

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٥٩٩٨).

(٢) حديث صحيح، رواه البخاري (٥٩٩٧).

(٣) حديث صحيح، صحيح الجامع الصغير (٤٦٣/١).

(٤) سنده قوي، رواه الطبراني ٣-٣٥ حدثنا عبد الله بن علي الجارودي، حدثنا أحمد بن حفص، حدثني أبي، حدثنا إبراهيم بن طهمان، عن عباد بن إسحاق، عن زيد بن أبي العتاب، عن عبيد بن جريج عن ابن عمر.. وعبيد وزيد تابعيان ثقتان من رجال التقريب، وعباد بن إسحاق صدوق واسمه عبد الرحمن. التهذيب ٦-١٣٧ وإبراهيم ثقة من رجال الشيخين، التقريب ٩٠ وأحمد ووالده صدوقان من رجال البخاري وشيخ الطبراني حافظ من أئمة الأثر أثنى عليه الحاكم والناس انظر: البلغة لحماد الأنصاري حفظه الله (١٩٤).

لم تكن الرحمة للحسن وحده.. فهناك طفلة تنافسه.. وردة اسمها «أمامة» بنت زينب رضي الله عنها.. كانت أمامة ملء سمعه وبصره.. تتعلق به عيناها البريئتان، وتمد يداها الصغيرتان وهو يهم بالخروج للمسجد، فيستسلم قلبه لتلك البراءة العذبة، فيحملها ويضمها ويقبلها، ويأخذها معه إلى المسجد وهو يريد الصلاة بصحابته رضي الله عنهم. فيراه أحدهم وهو «أبو قتادة» فيقول: (خرج علينا النبي ﷺ وأمامة بنت أبي العاص على عاتقه، فصلّى، فإذا ركع وضع، وإذا رفع رأسه رفعها)[1]، (فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها)[2].. يفعل ذلك أثناء صلاته بالمؤمنين.

ولم تكن تلك الرحمة والملاطفة منه ﷺ لأولاده فقط، بل كان يشمل بها أبناء المسلمين.. ها هو يزور دار أحد الأنصار.. دار (الربيع بن سراقة الخزرجي)، فيجد طفلاً صغيراً اسمه محمود، فيبدأ بملاطفته وملاعبته، ثم يتناول ﷺ دلواً على حافة البئر، ثم يملأ فمه الطاهر بالماء، ثم يقترب من الصغير ويلاحقه فيطشّ الماء في وجهه.

حركة تثير الضحك والركض والاختباء البريء لدى الأطفال.. حركة تجلب السعادة.. مازال محمود يذكرها، ويذكر الناس بها، وهو يقول: (عقلت من النبي ﷺ مجّة مجّها في وجهي، وأنا ابن خمس سنين)[3] (مجها رسول الله ﷺ من دلو في دارنا)[4].

قد يفعل الرجل هذا مع أبنائه وبناته، فهل يفعلها حاكم أو عالم أو وجيه مع أطفال غيره.. ماذا سيقول الناس عن ذلك..؟ ماذا سيقول الجهل عن ذلك..؟ لكن محمداً ﷺ فعل ذلك مع ذلك الطفل (من بئر في دارهم)[5]، بل لقد بلغ به التواضع والرحمة أعماقاً وآفاقاً بعيدةً.. بعيدة.. تعال معي إلى هذا المشهد المضحك المبكي في طرقات مدينة النبي ﷺ.. مشهد لـ:

النبي ﷺ والإماء والمعاقين

حيث نرى النبي ﷺ يمشي في الطرقات تقوده أمةٌ أو امرأة في عقلها شيء.. دون أن ينهرها، أو يطالبها بالتوقف، أو يطالب أهلها بردعها عن مجلسه.. كان يجعل

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٥٩٩٦).
(٢) حديث صحيح رواه البخاري (٥١٦).
(٣) حديث صحيح رواه البخاري (٧٧).
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٦٤٢٢) .
(٥) حديث صحيح رواه البخاري (١١٨٥). حديث صحيح رواه البخاري (مشكاة المصابيح - ١٦١٧/٣).

لهـا من قلبه ووقته نصيباً كالآخرين.. يقوم مـن مجلس قد يجلس فيه أبو بكر وعمر وعثمـان وعلـي إلى امرأة في عقلها اضطراب.. يسـتمع إليهـا، وينصت حتى تنتهي وتقضي حاجتها..

يقول أنس رضي الله عنه: (كانت الأمة من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله ﷺ فتنطلق به حيث شاءت)[1]، ويقول: (إن امرأة كان في عقلها شيء فقالت: يا رسول الله، إن لي إليك حاجة؟ فقال: يا أم فلان، انظري أي السكك شئت حتى أقضي لك حاجتك.

فخلا معها في بعض الطرق، حتى فرغت من حاجتها)[2].

كان ﷺ جنّة من المشاعر.. ينعم بها الجميع، حتى ضعاف العقول.. حتى العصافير والطيور.. كان ﷺ جدول حب يشرب منه الجميع فيرتوون.

يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فانطلق لحاجتـه، فرأينا حمَّرة معها فرخان، فأخذنا فرخيها، فجاءت الحمرة، فجعلت تفرش، فجاء النبي ﷺ فقال: من فجع هذه بولده؟ ردوا ولدها إليها.

ورأى قريـة نمل قد أحرقناهـا، فقال ﷺ: إنه لا ينبغي أن يعـذب بالنار إلاّ رب النار)[3].

كان ﷺ يتغيّـر وجهـه ويتألم لمنظر الفقراء، فلا يقرّ له قرار حتى يذهب ما بهم، فإذا لم يجد سوى الكلمات بذلها يريح بها نفوسهم ويقوّيهم بها.

يقـول أحد الصحابة رضي الله عنهم: (كنّا عند رسـول الله ﷺ في صدر النهار، فجاء قوم عراة، حفاة، متقلّدي السيوف، عامتهم من مضر، بل كلّهم من مضر، فتغيّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى بهم من الفاقة، فدخل، ثم خرج، فأمر بلالاً فأقام الصلاة، فصلّى ثـم خطب فقـال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾)[4].

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٦٠٧٢).

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (٢٣٢٦).

(٣) حديث صحيح: انظر: صحيح سنن أبي داود (١٦١٨/٣).

(٤) سورة النساء: الآية ١.

و﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ﴾[1].

تصدّق رجل من دينــاره، من درهمه، من ثوبه، من صاع بره، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشقّ تمرة.

فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفّه تعجز عنها، بل لقد عجزت، ثم تتابع الناس حتــى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رســول الله ﷺ يتهلّل كأنه مذهبة، فقال رسول الله ﷺ: من سنّ في الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شــيئاً)[2]، أي من أحيى ســنة من سنن الإسلام، ودلّ عليها فله ذلك الأجر، ومن ابتدع في الإسلام سنة لم يأت بها النبي ﷺ فعليه ذلك الــوزر المخيف، ويقول ﷺ: (مــن دلّ على خير فله مثل أجره فاعله)[3]، و(من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد)[4]. كانت تلك الصدقات ســنة حســنة.. تهلّل وجه النبي ﷺ عندما رآها، لأنه رأى الجوع والعري ينزاح عن أولئك المســاكين، الذين أحسّــوا بالحياة تســري في عروقهم من جديد، لكن الرحمة أحياناً تســتغل.. يســتغلها الأوغاد واللئام، وذلــك لا يعني أن يتوقــف تدفقها للتوقعات والظنون.. رحمتــه وكرمه ﷺ متدفق دون توقف، حتى مع الخونة إلى أن يظهروا الخيانة ويمارسوها جهاراً كما في هذه القصة:

قصة أولها رحمة وآخرها جحيم

مجموعة من اللصوص من عكل وعرينة.. مجموعة من الأوغاد ســمعوا برحمته ﷺ، وبشفقته على أصحابه وعلى الناس جميعاً، فظنّوا أن بإمكانهم استدرار رحمته، واستدراج طيبتــه، ثم الضحك عليه بعد نــوال عطائه. جاء هؤلاء إلى المدينة وتظاهروا بالإســلام (وبايعوه ﷺ)[5] لكن حمى المدينة أصابتهم، فأشفق عليهم ﷺ عندما قالوا: (يا نبي الله،

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٨.

(٢) حديث صحيح رواه مسلم (١٠١٧) الزكاة والنسائي (الصحيح ٢-٥٣٩).

(٣) حديث صحيح رواه مسلم (١٨٩٣).

(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٢٦٩٧).

(٥) حديث صحيح - رواه مسلم - القسامة.

إنا كنا أهل ضرع ولم نكن أهل ريف، واستوخموا المدينة)[1] (فقال لهم رسول الله ﷺ: إن شئتم أن تخرجوا إلى إبل الصدقة، فتشربوا من ألبانها وأبوالها)[2] (فأمر لهم رسول الله ﷺ بذودٍ[3]، وراعٍ، أمرهم فيه، فيشربوا من ألبانها وأبوالها)[4].

أجل أمرهم بشرب أبوال الإبل، وهي معجزة طبية ثبتت علمياً في ألفيتنا الثالثة كدليل على نبوته[5] (فانطلقوا، فشربوا من أبوالها وألبانها حتى صحوا وسمنوا)[6] (فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ، واستاقوا النعم)[7] و(سملوا أعين الرعاء)[8] أي فقأوا عينيه بالحديد. (فانطلقوا حتى إذا كانوا ناحية الحرة كفروا بعد إسلامهم)[9] (فجاء الخبر في أوّل النهار، فبعث ﷺ في آثارهم، فلما ارتفع النهار جيء بهم، فأمر بقطع أيديهم، وأرجلهم، وسمرت أعينهم، وألقوا في الحرّة، يستسقون فلا يسقون)[10] (ثم نبذوا في الشمس حتى ماتوا)[11].

ما ذنب ذلك الراعي المسكين الذي اعتنى بهم وبصحتهم..؟ سقاهم ومرّضهم وأطعمهم، فكان جزاؤه أن فقأوا عينيه ثم قتلوه!! إن فقأهم لعيني الراعي قبل قتله دليل على توغّل الإجرام والحقد في نفوس هؤلاء الأنذال، الذين جمعوا كل صفات الخسّة والدناءة.. كفروا، وقتلوا، ومثّلوا، وخانوا، وسرقوا، فكان عقابهم شديداً بحجم جريمتهم. إن أمثال هؤلاء الرعاع والجهلة وقطاع الطرق يشكلون خطراً على كل أرض يطأونها، ولا يمكن أن يوقف نزيف الخوف والدم الذي يسفكونه سوى السيف البتّار. أمثال هؤلاء يغريهم ضعف الضعيف، وحلم الحليم وتسامح الكريم، فينشرون من خلال ذلك الرعب في قلوب الحجاج والتجار والمسافرين.

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٩٢) ومعنى استوخموا أي لم يوافق مناخها أجسادهم.
(٢) حديث صحيح رواه مسلم (١٦٧١) القسامة.
(٣) الذود هو القطيع من الإبل.
(٤) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٩٢).
(٥) للدكتورة فاتن خورشيد براءة اختراع حول هذا الموضوع وللدكتورة أحلام العوضي وزميلاتها أبحاث أخرى مبهرة حول بول الإبل كما نشرت جريدة الرياض الجمعة ٢٤ - شوال خبراً عن براءة اختراع أخرى.
(٦) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠١٨).
(٧) حديث صحيح رواه البخاري (٢٣٣).
(٨) حديث صحيح رواه مسلم -القسامة (١٦٧١).
(٩) حديث صحيح رواه البخاري (٤١٩٢).
(١٠) حديث صحيح رواه البخاري (٣٠١٨).
(١١) حديث صحيح رواه مسلم -القسامة (١٦٧١).

ربما أغرى هؤلاء الأجلاف ذلك الإنكسار الذي حدث للمؤمنين في غزوة أحد، وربما كانوا طلائع خيانة واستكشاف لمجرم قابع في عرنه.. يجمع جيشاً لاقتحام المدينة ونهبها.. مجرم يثير القشعريرة.. اسمه (خالد بن سفيان بن نبيح) يقود بني لحيان.

علم ﷺ بذلك المخطط، لكنه فكّر بطريقة آمنة يتخلّص فيها من حرب ضروس بطعنة واحدة.. يحقن فيها دماء جيوش تحتاج إلى دمائها ورجالها. فكّر ﷺ بـ:

اغتيال خالد بن سفيان

وقع اختيار رسول الله ﷺ على فارس مغوار يختصر المسافات والأحداث.. يجمع الجيوش والآلام والنواح بطعنة واحدة.

وقع اختياره ﷺ على فارس يدعى (عبد الله بن أنيس) فتعالوا إلى الأحداث والحديث، وفارسنا الذي يقول: (دعاني رسول الله ﷺ فقال: إنه قد بلغني أن خالد بن سفيان بن نبيح يجمع لي الناس ليغزوني، وهو بعرنة، فأته فاقتله. قلت: يا رسول الله، انعته[1] لي حتى أعرفه. قال ﷺ: إذا رأيته وجدت له قشعريرة [قلت: والذي أكرمك ما هبت شيئاً قط].

فخرجت متوشحاً سيفي، حتى وقعت عليه بعرنة «مع ظعن[2] يرتاد لهن منزلاً»، وحين كان وقت العصر، فلما رأيته وجدت له ما وصف لي رسول الله ﷺ من القشعريرة، فأقبلت نحوه، وخشيت أن يكون بيني وبينه محاولة تشغلني عن الصلاة، فصلّيت وأنا أمشي نحوه، أومئ برأسي الركوع والسجود.

فلما انتهيت إليه، قال: من الرجل؟ قلت: رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل، فجاءك لهذا. قال: أجل، أنا في ذلك [قلت: باغي حاجة فهل من مبيت؟ قال: نعم فالحق بي] فمشيت معه شيئاً، حتى إذا أمكنني حملت عليه السيف حتى قتلته، ثم خرجت وتركته ظعائنه مكبّات عليه، [ثم غشيت الجبال ولجمته حتى إذا ذهب الناس خرجت حتى] قدمت على رسول الله ﷺ، فرآني، فقال: أفلح الوجه. قلت: قتلته يا رسول الله. قال رسول الله ﷺ: «صدقت».

---

(١) أي صفه لي.
(٢) نساء.

ثم قام معي رسول الله ﷺ، فدخل في بيته فأعطاني عصا، فقال: أمسك هذه عندك يا عبد الله بن أنيس. فخرجت بها على الناس، فقالوا: ما هذه العصا؟ قلت: أعطانيها رسول الله ﷺ وأمرني أن امسكها. قالوا: أوّلا ترجع إلى رسول الله ﷺ فتسأله عن ذلك؟ فرجعت إلى رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله، لم أعطيتني هذه العصا؟ قال: آية بيني وبينك يوم القيامة، إن أقلّ الناس المتخصرون يومئذٍ يوم القيامة، فقرنها عبد الله بسيفه)[1] الذي حطم صنماً وخطراً في دروب المؤمنين.. إن هذا النوع من الاغتيال لم يكن باجتهاد فردي.. لم يقم به أحد من أصحابه حماساً وتطوعاً، وهم قادرون على أكثر من ذلك.. إنها دماء لا يجوز الخوض فيها دون الرجوع إلى النبي الإمام- النص، وإلا فإنها ضرب من التهور غير المبرر.

لم يكن عبد الله بن أنيس وحده الذي يبعث في سرية مكوّنة من فرد واحد.. كان هناك من ينافسه.. رجل شديد البأس قويّ البنية.. جسور لا يهاب الموت.. يعشق الشهادة.. كان ﷺ يبعثه إلى أعماق قريش.. يتغلغل فيها، لا ليقتل، بل لينقذ، ليخلص بعض أولئك المستضعفين في مكة الذي أبقاهم ذووهم في مكة، وقهروهم ومنعوهم من الهجرة، فكانت تلك المهمات:

---

(١) حديث صحيح عدا ما بين الأقواس الصغيرة، وقد حسن الحافظان ابن حجر وابن كثير سند أحمد وأبي داود وهو سند ضعيف، وبقية الحديث هو: فلم تزل معه حتى إذا مات أمر بها، فضمت معه في كفنه، ثم دفنا جميعاً، والحديث عند أحمد ٣-٤٩٦ والطبراني (مسند العبادله - ٧٦) وأبي داود (١٢٤٩) مختصراً. وقد ضعفه الإمام الألباني في ضعيف أبي داود (١٢٣) وسنده عند أحمد وأبي داود محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر عن ابن عبد الله بن أنيس عن أبيه. لكن ابن إسحاق صرح بالسماع من شيخه الثقة عند أحمد ٣-٤٩٦ فتبقى مشكلة ابن عبد الله بن أنيس، وعند الرجوع للتقريب نجد أن الحافظ قال: إن اسمه: ضمرة أو عمرو، أو دون اسم.. ولكن عندما نرجع إلى سنن البيهقي ٣-٢٥٦ نجد أنه قد سماه بـ عبيد الله، وهو الأصوب والأصح للتصريح من تلميذه باسمه.. لكن معرفتنا باسمه لا تفي بالغرض، فالرجل تابعي لم يوثق فيحتاج إلى شاهد أو متابعة، وقد وجدت هذه المتابعة والشاهد عند الطبراني. حدثنا مصعب بن إبراهيم، حدثني أبي، حدثنا عبد العزيز الدراوردي، عن يزيد بن عبد الله بن الهاد عن محمد بن كعب القرظي، قال، قال عبد الله بن أنيس.. وفي هذا السند خطأ فالصواب يزيد بن عبد الملك بن الهاد وهوتابعي ثقة وكذلك محمد بن كعب القرظي وسائر رجال السند ثقات وهو متصل انظر: التقريب (١/٣٤ - ٥١٢) (٢/٢٠٣-٣٦٧) وشيخ الطبراني ثقة انظر: مجمع البحرين (٣/١٥٥) ورواية الدراوردي ليست عن عبيد الله العمري.
فالسند حسن والحديث صحيح بالسندين والزيادات بين المعقوفين من رواية الطبراني.

سرايا لمرثد بن أبي مرثد

وكان لمرثد رضي الله عنه صديقة في مكة.. ينزل عليها سـرّاً، وكان يحبها وتحبه وتحفظ سـره وعلاقته بها.. اسـمها: (عناق)، لكن أمراً حدث في المدينة أثار غضب تلك الحسـناء، فخانت مرثد ونادت قريشاً لكي يحاصروه ويقبضوا عليه، فماذا حدث لمرثد بن أبي مرثد..؟

يقول أحد الصحابة: إن (مرثد بن أبي مرثد، كان رجلاً «شـديداً» يحمل الأسرى من مكة، حتى يأتي بهم المدينة، وكانت امرأة بغيٌّ بمكة يقال لها (عناق)، وكانت صديقة له، وأنه كان وعد رجلاً من أسارى مكة يحتمله،

قـال مرثد: فجئت حتى انتهيـت إلى ظل حائط، من حوائط مكة في ليلة مقمرة، فجاءت عناق، فأبصرت سـواد ظلي بجنب الحائـط، فلما انتهت إليّ عرفتني فقالت: «مـن هذا» مرثد؟ فقلـت: مرثد. قالت: مرحباً وأهلاً، هلم فبِتْ عندنا الليلة «انطلق الليلة فبت عندنا في الرحل».

قلت: يا عناق..

حرم الله الزنا

«إن رسـول الله ﷺ حرم الزنا». قالت: يا أهـل الخيام، «هذا الدلدل، هذا الذي يحمل أسراءكم من مكة إلى المدينة».

فتبعني ثمانية، وسـلكت الخندمة[1]، فانتهيـت إلى غارٍ أو كهفٍ، فدخلت، فجاءوا حتى قاموا على رأسـي، فبالوا «فطار بولهم علي»، فظلّ بولهم على رأسـي، وعمَّاهم الله عني. ثم رجعوا ورجعت إلى صاحبي، فحملته، وكان رجلاً ثقيلاً، حتى انتهيت إلى الإذخر، «فلما انتهيت به إلـى الأراك» فككت عنه أكبله، فجعلت أحمله ويعينني، حتى قدمت المدينة، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً؟

«فسـكت عني»، فأمسك رسول الله ﷺ ولم يرد عليّ شيئاً حتى نزلت: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾.

---

(١) جبل عند أحد مداخل مكة.

فقال رسـول الله ﷺ: يا مرثـد الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشـركة، والزانية لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك، فلا تنكحها)[1].

لأنهـا تحتـرف الزّنا وتصرّ عليه، أما إذا تابت الزانيـة، وتاب الزاني وباب التوبة مفتوح إلى يوم القيامة، فيجوز عند ذلك، أمّا إذا لم يتوبوا فهم أمراض متنقلة.. تنخر الأجساد والمجتمعات.

إذاً فهناك رجال يمكن الاعتماد عليهم للقيام بمهام خطيرة ودقيقة، والنبي ﷺ لم يتـردّد في بثّهم هنا وهنـاك، فالمدينة في خطر، والدعوة إلى التوحيد تحتاج إلى دولة قوية وذكية لنشـرها، فكان لمرثد دور، وكان لعبد الله بن أنيس دور آخر، وللذين داخل المدينة أدوار يؤدّونها تحت قيادة هذا النبي الحكيم.

في إحدى هذه المهمات أراح النبي ﷺ دولته وأصحابه من فتنة عمياء، ومن حرب قـد تكون فادحة الخسـائر، وأراح بني لحيان من كارثة قـد تحلّ بهم على يد قائدهم المتهور خالد بن نبيح، لكن النبي ﷺ لم يكتف بهذه السرية ذات الفارس الفذ، فقريش وبنو لحيان وبعض القبائل أغراهم ذلك الانكسار الذي حدث للمسلمين في أُحُد، لذلك لابدّ من الحذر واليقظة.. لابدّ من دراسـة المنطقة والتعامل معها بحرص، فقد يكون فيها أكثر من خالد بن نبيح.

هنـاك مناطق توتّر مخيفة بين مكة والمدينة.. أشـدّها تلك التي تسـكنها هذيل قبيلة الصحابي الجليل عبد الله بن مسـعود، تلـك القبيلة التي ينتمي لها بنو لحيان، ويسكنها بجوارهم بنو سليم، وإليها ينتمي بطون (رعل وذكوان وعصية) وهؤلاء جميعاً يسكنون قريباً من مكّة، وقد تمّ القضاء على إحدى بؤر التوتّر وهو خالد بن نبيح، لكن بقي من هو أشدّ خطورة منه.. بقي طاغوت من غطفان اسمه (عامر بن الطفيل) هذا الطاغوت كان وقحاً لدرجة أنه جاء إلى المدينة يهدد النبي ﷺ إذا لم يرض بمطالبه.

---

(١) سنده حسن رواه النسائي (الصحيح - ٣٠٢٧) والترمذي (الصحيح - ٣٥٣٨) واللفظ له والزوائد للنسائي، من طريق عبيد الله بن الأخنس أخبرني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده. وعبيد الله، ثقة التقريب ٣٦٩ وبقية السند حسن مشهور.

عامر بن الطفيل يهدد النبي ﷺ

يقول أنس بن مالك: (كان رئيس المشركين (عامر بن الطفيل، وكان أتى النبي ﷺ فقال: أخيرك بين ثلاث خصال:

أن يكون لك أهل السهل، ولي أهل المدر.

أو: أن أكون خليفتك من بعدك.

أو: أغزوك بغطفان بألف أشقر وألف شقراء)[1].

رفض ﷺ تلك المطالب الطاغوتية، فقد بعثه الله للناس كافةً.. لنشر التوحيد وإزالة الشرك عن هذه الأرض كلها، وإزالة الطواغيت أمثال عامر بن الطفيل، وتحكيم شرعه لا لمقاسمة الأصنام والعادات والتقاليد، ولذلك أخذ ﷺ حذره من ذلك الأهوج، ومن بني لحيان وبني سليم، فقام بعقد عهدٍ بينه وبين جيرانهم بني عامر حتى يأمن اتفاقهم عليه أو مساندتهم لقريش إذا ما قامت قريش بعمل عسكري في المستقبل. لكن ذلك كلّه لا يكفي، فعامر بن الطفيل يحتاج إلى رصد ومراقبة أكثر، فالظروف الحالية دقيقة وخطيرة، وقريش مازالت تحتفظ بقائمة من الأسماء.. لها معها ثأر منذ غزوة بدر، ولم تتمكن منهم في غزوة أُحُد، وكان على رأس تلك القائمة الصحابي الشجاع (عاصم بن ثابت) الذي شهد له ﷺ بإجادة القتال في غزوة أُحد.. هذا الأسد كان قد فتك بعظيم من طواغيت قريش، ورأسه مطلوب بأي ثمن، والفارس الآخر اسمه (خبيب بن عدي) وقد اجتثّ خبيب رضي الله عنه طاغوتاً آخر يدعى (الحارث بن عامر بن نوفل) وهناك آخرون مطلوبون، لكنني ذكرت هذين الفارسين لأن الرسول ﷺ استدعاهما، واستدعى معهما ثمانية من الشجعان.. هؤلاء العشرة كوّنوا سرية استطلاع للمنطقة الواقعة بين مكة والمدينة، ومهمتهم تغطي أراضي يسكنها بنو لحيان وسليم وبنو عامر، وأطلق فيما بعد على هذه السرية:

---

(١) حديث صحيح رواه البخاري (٤٠٩١) والبيهقي (٣/٣٤٥) واللفظ له.

obeikandi.com